

النزعة الإنسانية في الفكر التربوي الإسلامي عند أبي حيان التوحيدي

د. محسن خضر

أستاذ مساعد أصول التربية

كلية التربية - جامعة عين شمس

مقدمة :

(إن الإنسان أشكل عليه الإنسان).

هذه العبارة الفلسفية الغامضة المنسوبة لأبي حيان التوحيدي تصلح لأن تكون باباً للدخول إلى النزعة الإنسانية في الفلسفة في حقل الثقافة العربية ، ومن ثم يمكن تأسيس مقارنة تربوية تستلهم أبعادها ، وغناها ، وتحاول أن تنقلها إلى ساحة العمل التربوي لتثري النظرية التربوية العربية والممارسة معاً.

ربما تزداد قيمة النزعة الإنسانية في عالم تسوده نزعة عسكرية العولمة وتوحشها أو قنبلة العالم ، وقسوة الهيمنة الأمريكية الضاغطة على كل جبهات الرفض والمقاومة والاختلاف الثقافي ، ويدشن لهذه النزعة العسكرية الاستعلائية ترسانة فكرية تحاول تأسيس مشروعية لهذه النزعة ، وتضع الإسلام والعرب في مواجهة المدافع والقاذفات الغربية كمصدر تهديد للحضارة الغربية ، وتلصق بهم الإرهاب والعنف ، كما تمثله كتابات فوكوياما ، ورنارد لويس ، وصموئيل هيننتجتون ، وفؤاد عجمي ، وتوماس فريدمان .

وهذه المعطيات تضغط على التربية العربية ، بل وتطال الدعوات الصريحة بإعادة تأهيل المجتمع العربي ، ومراجعة الخطاب الديني ، والمقررات الدراسية لتخفيف استبعاد المكونات الأساسية للهوية العربية ، والنزعة المعادية للاستعمار والصهيونية ، وهو ما قد يخلخل بناء الذاكرة الوطنية ، والهوية القومية ذاتها.

أهمية طرح النزعة الإنسانية:

معرفة وفهم الإنسان هي نقطة الانطلاق في العمل التربوي ، ويصب هذا المسعى في فهم الإنسان في تطور الجهود والممارسات التربوية.

ولنعترف في شجاعة بغياب الإنسان العربي فعلاً لا قوة ، وحقوقاً ومشاركة وفاعلية لا وجوداً كمياً أو فيزيقياً فحسب.

ولذا بات من المهم في رأي البعض " طرح مهمة إعادة انسنة الكيانات المدنية (السياسية وخصوصاً من جانب المثقف الذي أعاد اكتشاف القيمة الحاكمة " للإنسان " باعتبارها مقولة سابقة على كل سياسة أو أيديولوجية.(١)

وليس من السهل مقارنة مفهوم الإنسان إلا من خلال رؤية ابستمولوجية متضافرة تضم علوم الأنثروبولوجية والفلسفة والدين ، وعلم النفس ، وعلم التاريخ ، وعلوم القانون وغيرها.

وتقوم النزعة الإنسانية على الإنسان واحترام الإنسان باعتباره أثنى ما في الوجود ويعرف اركون النزعة الإنسانية العربية Humanism بأنها " تسعى لمصالحة الإنسان مع نفسه بطريقة عملية ملموسة ، أي طريقة تتحد سياسياً وتتجسد في نظام أخلاقي معاش على أرض الواقع كما تجسد في نظام اقتصادي يقوم على العدالة والمساواة"(٢) .

وتؤمن النزعة الإنسانية بقدسية وكرامة واستقلالية بني البشر ، وهي نزعة أو فلسفة قيمة قدم الحضارة الإنسانية وحديثة حدائة القرن العشرين وما بعده . ويمكن تتبع هذه النزعة قديماً مع بتاح حتب وكونفوشيوس والمفكرين الإغريق والرومان وبخاصة أرسطو . كما أغنى الإسلام هذه النزعة بإيلائه الإنسان مفهوماً ، وكياناً ، ومسئولية ، وحماية أولوية كبرى.

ولاحقاً سوف تسهم الفلسفة الوجودية ، وعلم النفس الإنساني بقدر في إخصاب النزعة الإنسانية.

ظهرت النزعة الإنسانية في الغرب مع عصر النهضة الأوروبي (ومن روادها دانتي وتبرارك وبوكاشيو وإيرامس) حيث عنت طائفة من المتخصصين في دراسة لغات وآداب لحضارات القديمة ، في مقابل دراسة الكتب المقدسة ، وربما كانت جذور النزعة موجودة في اليونان القديمة في مصطلح (التعليم لموازن) أو Enkiklia Paedia والتي تعني الفنون لحررة السبعة: النحو ، والبلاغة ، والمنطق ، والحساب ، والفلك ، والهندسة والخطابة . وأول من صاغ مصطلح (الإنسانية) Humanism المفكر التربوي الألماني ليثامر عام ١٨٠٨ حيث عني بها بعداً محدداً في التفكير والاعتقاد أو جدالاً مستمراً يحتوي داخله على وجهات نظر مختلفة أو متعارضة أحياناً. ويعتبر بالوك أن ما يميز دعاة النزعة الإنسانية عن غيرهم هو نطاق موضوعات التفكير التي يهتمون بها والتي تدور حول

استكشاف الإنسان لنفسه ولثراء الخبرة الإنسانية ، كما ان أسلوب الحوار هو الأسلوب المنهجي الغالب الجوانب المختلفة للخبرة الإنسانية ، كما تتضمن قناعة بأن الفرد الإنساني ذو قيمة في حد ذاته وأن احترام هذه القيمة هو مصدر كل القيم الأخرى.^(٣)

ويخلص باترسون مبدئين رئيسيين في الإنسانية : الأول أن غاية التربية هي تنمية كل القدرات لدى الإنسان والثاني الطريقة الأساسية لتحقيق ذلك هي إقامة علاقات إنسانية بين المعلم والطالب.^(٤)

ويطرح المفكر الجزائري محمد أركون الإشكالية في السؤال التالي : هل يمتلك الفكر الإسلامي - والتربوي خصوصاً - اليوم الوسائل العقلية والثقافية ، أو الحريات والأطر الاجتماعية التي لا بد منها من أجل تشكيل فلسفة حديثة للإنسان^(٥)؟

تشكل النزعة الإنسانية (الأنسنة) Humanism في حد ذاتها بداية جديدة . مما يجعلنا أمام مدخل مزدوج لمفهوم إنسان : أحدهما حيوي طبيعي والآخر نفسي واجتماعي وثقافي وكلا المدخلان يحيلان إلى بعضهما البعض.

وتشكل النزعة الإنسانية شرطاً حاسماً للتربية المؤسسة على ركيزة إنسانية ، لأنها تبين بجلاء كيف أن الحيوانية والإنسانية تحددان معا شرطنا الوجودي.^(٦)

وثمة مشروعية لللتفات إلى " الوراثة الإسلامي " في هذه المداخلة ، ربما يكون إحداهما ملحاً ، حضاري التكوين يختص برد الاعتبار إلى الذات الإسلامية في وجه حملات التشوية والتفكيك الغربية (ولا سيما الأمريكية) ، والتي دخلت منقطة العداء الصريح والتآمر المتعمد بعد هجمات ١١ سبتمبر ، تعززها ترسانة مسلحة ، وأخرى أيديولوجية تربط الإسلام بالإرهاب ، والعروبة بالتعصب ، ولذا فمحاولة فهم الروافد الإسلامية للنزعة الإنسانية يعني في نفس الوقت المساهمة في إخصاب هذه النزعة عالمياً ، وتصحيح المدرك الإسلامي لدى الغرب.

وثمة رأي يرى أن المعطيات الجوهرية للروية الكونية للإسلام ، ربما تكون المصدر الأول في التاريخ لاستقامة الحقوق الأساسية الإنسانية المنظومة حقوق الإنسان ككل ، وهذه المصادر الإسلامية التي يمكنها أن تسهم في تأسيس نزعة إنسانية معاصرة:

١ مبدأ واحدية الله ، وبالتالي تستق منه مبدأ واحدية الكائن إنساني.

٢ - مبدأ كرامة الإنسان وخلاقته لله في الأرض.

٣ - مفهوم المساواة بين كل البشر.

٤ - مفهوم العقل وأساسه.^(٧)

المشروعية الثانية أن التربية مطالبة باستيعاب واستيعاب كل الروافد الفكرية الخصبة التي يمكن ان تغني نظريتها ، وبالتالي ممارستها اليومية ، ونقد الرافد الإسلامي عملية ملحة هدفها دفع هذا المكون إلى إغناء النظرية التربوية ، والعودة إل الجهاز العقلي للفكر الإسلامي الكلاسيكي داخل الفضاء التاريخي القروسطي عملية نقدية مهمة يصوغها محمد أركون في الثنائية التالية : " أما أن يساهم المسلمون بشكل مبالغ ودون أي تحفظ أو رقابة قمعية في التشكيل الجماعي لنزعة إنسانية كونية تساهم فيها جميع تراثات الفكر وثقافات العالم ، وأما أن تشهد تصليباً أيديولوجيا للعقل السياسي الديني الذي يؤسس السياسة والأخلاق على تصلب دوجمائي لم يتعرض أبداً لأي مناقشة نقدية أو مراجعة فكرية".^(٨)

لماذا أبو حيان التوحيدي ؟

ربما مثل أبو حيان التوحيدي (توفي ٤١٤هـ - ١٠٢٣م) (ومعه مسكويه) أهم رموز النزعة الإنسانية في التاريخ العربي ، بل أننا نجد لديه أفكاراً مستقبلية تتخطى حدود الزمان والمكان ويلخص عاطف عراقي شخصيته بأنه " صاحب شخصية فذة من النادر أن نجد مثيلاً لها في تاريخنا الفكري الحديث".^(٩)

ويؤكد جابر عصفور على نفس الفكرة : " فكتابة التوحيدي إنجاز أصيل نعتز به لأن منها ما يتجاوز وهمونا العصرية ، ويضيف إلى اسئلتنا نحو المستقبل ، ويصلنا بأبي حيان ويصله بنا ، منفتحاً لا منطوياً على شهوة التغيير ، وكاتباً يؤسس لإبداع الكتابة ، ومتجرداً يغذي تمردنا على الثابت الجامد ، وميراث أبي حيان سؤال مفتوح على عصره الماضي وعصرنا الآتي ، فيه ما يمكن ان ينتقل بالإنسان من قيد التقليد إلى فاعلية الاجتهاد، ومن الاتغلاق على النفس على الآخر ، ومن ذلك الخنوع إلى توثب التمرد".^(١٠)

ولهذا يصفه البعض بـ " العالمي الفرد"^(١١) إنه الفرد العالمي باعتباره عضواً في تاريخ يتربع على قمته ، وهو الفرد باعتبار فرديته التي تعرضها مشاريعه الفكرية مشيدة على نظام عالمي ، وملامح العالمية الفردية عنده هي:

أ) إرادته الدائمة من خلال منهج معرفي يتحد تماماً بالتيارات العامة للأوساط الفكرية في عصره.

ب) إرادة التغيير ، القدرة على تذليل الظروف القائمة والعارضة في المجتمع.

يمثل التوحيدي ظاهرة فريدة في التاريخ الثقافية العربية الإسلامية ودراسته هي دراسة هذه الثقافة في أوج عطائها وقمة ازدهارها تداخلت لدى التوحيدي مواقف المؤرخ ، والناقد ، والمراقب وكان التوحيدي معبراً عن الإشكاليات الثقافية التي ماج بها عصره . ولم يكن أبو حيان فيلسوفاً محترفاً كالفارابي والكندي ولكنه صاحب نسق فلسفي مستقل ومجد خاص به ، أبرز سمات هذا النسق وهو أنه كان صاحب موقف فلسفي مفتوح بفضل نزعة النقدية الواضحة وتجلت هذه النزعة النقدية في فرط ما طرحه الأسئلة التي تحاول هز الواقع ومساءلة الإجابات التقنية كما ظهر في كتاب " الهوامل " وهي أسئلة أجاب عنها مسكوية في كتاب " الشوامل".

وثمة اتفاق على أن أبي حيان لم يكن فيلسوفاً بالمعنى الدقيق وأنه يعد واحداً من المتفلسفة ، وصفه ياقوت الحموي بأنه " شيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء" وإنه فرد الدنيا الذي لا نظير له ، وهو ما ذهب إليه زكريا إبراهيم بوصفة " فيلسوف السؤال " وبأنه "أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء".

جمع بين أسباب عديدة وراء اهتمام أبي حيان التوحيدي بقضية الإنسان ، فقد احتلت الأخلاق المكانة الأولى عند المتفلسفة ، والمسائل والمسائل العملية بوجه عام ، وتقريب الفلسفة إلى الجمهور كما أن الأديب قد يكون أكثر اهتماماً الجانب الإنساني من الفيلسوف وخاصة في العصور الوسطى (مثله مثل الجاحظ والمعري).^(١٢)

ويذهب البعض أن كل الثقافة العربية تمر من كتاب " الامتاع والموانسة " للتوحيدي ، حيث هضم كل الثقافة الفلسفية السائدة في القرن الرابع الهجري ، ويذهب إلى القول : " التوحيدي . يمكنهم أن يحرقوني معه بلا اعتراض"^(١٣)، كما كان التوحيدي فيلسوف السؤال بامتياز ، والسؤال منهج تربوي غني منذ أن طرحه سقراط في فلسفة السؤال وحتى اللحظة التربوية المعاصرة ، وإذا كن التوحيدي فتح باباً من أبواب الحداثة في التراث العربي لإسلامي ، فبالسؤال الذي يولد السؤال ، والحوار الذي يثري العلاقة بين الاعتبار والوعي الضدي الذي يتمرد على نفسه قبل أن يتمرد على غيره.^(١٤)

والسؤال منهج غائب في تربيتنا العربية المعاصرة ، والذي يعني - بالتالي - تسييد ثقافة التلقين والإجابات الجاهزة والعقول الاجترارية المتشابهة . إن السؤال أداة ضرورية لتنشيط التعليم العربي ، وإحداث همزة حقيقية يمكن أن تخلص التعليم من بعض جوانب أزمته.

مشكلة الدراسة :

الدخول إلى سفر أبي حيان التوحيدي ، دخول في التجربة الإسلامية المضيئة عن مفهوم الإنسان ، وعلاقة الأنا بالآخر ، وصياغة معادلة مشتركة للتعايش بين الإنسان والإنسان.

ووسط مناخ السخونة العسكرية التي تفرزها الهيمنة الأمريكية على مسيرة العالم، وتوحش حركة العولمة التي تقوم بالإقصاء والتهميش للأخر اللاعربي ، يبدو الحديث عن إيجاد أرضية مشتركة للحوار الإنساني الذي يفضي إلى شراكة خلاقة تقوم على احترام الإنسان بما هو إنسان ، وتنتج حوار ثقافياً لا صراعا حضارياً صدامياً.

وإذا كانت التربية هي قوة المستقبل الأساسية ، ورافعة التقدم الإنسانية ، والمعنية بتشكيل الإنسان والتأسيس على ما هيته الإنسانية ، فإن محاولة الحفر في الفكر الإسلامي متمثلاً في صفحة التوحيدي ، واستخلاص تعبير تربوي لهذه الرؤية الفلسفية للنزعة الإنسانية يمكن أن تسهم في السعي المشترك لإقامة حوار بين الأمم والجماعات البشرية المختلفة ، وتعزيز تربية أخلاقية ، وتصور إنساني للفرد يرد للإنسان اعتباره وما هيته المفقودة ، وخاصة في ظل العدوان الغربي ، الأمريكي خصوصاً على القضاء الإسلامي والعربي ، وإصااق تهم الإرهاب والتعصب والتخلف به.

ومن هنا فإن محاولة تحديد المجتمع العربية ، والإسلام العربي تبدو ملحة تحاول الدراسة التعرف على النزعة الإنسانية في الفكر الإسلامي متمثلاً في فكر أبي حيان التوحيدي ، وبالتالي توظيف نتائج دراسة هذه النزعة في الحقل التربوي الراهن بتعميق ما هو إنساني في العمل التربوي ، والاستفادة من المنهج التوحيدي في الحوار المعتمد على ثقافة السؤال .

أهمية الدراسة :

يمكن النظر إليها من عدة مداخل :

- مدخل النزعة الإنسانية الذي يظل مهماً في تربيتنا العربية بين مداخل عديدة تجريبية وتجريدية وفعالية.

- مدخل تربوي حضاري : يتمثل في سعى التربية نحو تأسيس عقل جديد يقوم على احترام الإنسان ، وكيونته ، وحقوقه مما يخفف من حالة الاحتقان السياسي والحضاري المعاصر وخاصة بعد العدوان الأمريكي الاستعماري على أفغانستان والعراق الشقيق وتأجج الفكر العنصري والمتعصب في الغرب ضد الثقافة العربية والإسلامية ، والإنسان المنتمي إليها.

- مدخل فكري : يتمثل في شخصية ومكانة أبي حيان التوحيدي الذي لم يقترب منه التربويون إلا نادراً ، ومن حقله وتجربته الخصبة بالرغم من أهميته الفكرية - وبالتالي التربوية سواء في تمثيله للنزعة الإنسانية في التنشئة ، أو في تبني ثقافة السؤال والتربية القائمة على الحوار والعقل النقدي.

منهج الدراسة :

تعتمد الدراسة الحالية على إسهامات المنهج النقدي الذي يطرح التساؤل باستمرار حول الشروط النظرية لصلاحية أو عدم صلاحية كل عبارة أو خطاب معرفي عقلي ، وهو تحليل مفاهيمي يحاول حفر وتجلية مفهوم النزعة الإنسانية ، ومحاولة استخلاصها من كتابات أبي حيان التوحيدي ، وإقامة بنية تربوية لنظرية مستمدة.

حياته :

هو علي بن محمد بن العباس ، ولد بين عامي ٣١٠ و ٣٢٠ هـ وتوفي غالباً سنة ٤١٤هـ-١٠٢٣م ، كما هو مكتوب على قبره بشيراز ، كما اختلف في أصله ، عربي أم فارسي ، شيرازي أم نيسابوري أو واسطي عراقي ، وسمي بالتوحيدي لأن أباه كان يبيع نوعاً من التمر المسمى التوحيدي ، وربما لأنه كمعتزلي يوصف مثلهم بأهل العدل والتوحيد.

تكسب التوحيدي من نسخ الكتب ، وكان باحثاً وعالمياً ومفكراً موسوعياً ، وعبر من ثقافة بغداد ومجتمعها المزدهر . تنتقل أبو حيان بين بغداد وشيراز والري ونيسابور ومكة وعاش مغترباً وأتصل ببعض الوزراء من أمثال ابن سعدان وأبي الفتح بن السعيد والصاحب بن عباد وعاشر مختلف الأوساط معاشر الوزراء والكتاب والفلاسفة والفقهاء النحويين والأدباء والمتصوفة والزهاد والمترفين والفقراء .

كما درس النحو على يد أبي سعيد السيرافي وعلى بن عيس الرماني ، وأبي حامد المرورودي ، وأبي بكر بن عبد الله الشافعي ، كما درس التصوف على يد جعفر الجندي إلا أن كثر أساتذته تأثيراً فهو أبو سليمان المنطقي بن بهرام السجستاني خاصة في دروس الفلسفة، كما حضر مجالس يحيى ابن عدي في بغداد.

كان مذهبه اعتزالياً صوفياً ذا نسقاً فلسفياً متفتحاً عاش في فترة صعود السنية الأشعرية ، وهي أيضاً فترة ما بعد المعتزلة.^(١٥)

التوحيدي شخصية قلقة وحتى كارتية كالنظام وأين الرواندي والحلاج والمعري والسهروردي ، افتقد الزوج والابن والصديق والغني ، واعتراه شعور بين اليأس والقلق .

مؤلفات أبي حيان :

كان ياقوت الحموي (٥٧٥-٦٢٦هـ) أول من أورد تصنيف لمؤلفات التوحيدي في: معجم الأدباء ، كما أورد مؤلفاته ، بعضها كل من أبن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ) في "وفيات الأعيان" والصفدي (٦٨٦-٧٦٤هـ) في "الوفاي بالوفيات" والسيوطي (٤٩٨-٩١١هـ) في "بغية الوعاة" ، وأهم مؤلفات التوحيدي التي أوردتها ، و(بعضها مفقود) هي: "رسالة الصداقة والصديق" ، و "الرد على ابن جنبي في شعر المتنبّي" ، و "الامتاع والمؤانسة" (جزءان) ، و "الإشارات الألهية" (جزءان) ، و "الزلفة" ، و "المقابلة" ، و "رياض العارفين" ، و "تقريب الجاحظ" ، و "ذم الوزيرين" ، و "الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي" ، و "الرسالة في صلات الفقهاء" ، و "في المناظرة" ، و "الرسالة البغدادية" ، و "الرسالة في أخبار الصوفية" ، و "الرسالة الصوفية" ، و "الرسالة في الحنين إلى الأوطان" ، و "البصائر" (في عشرة مجلدات) ، و "المحاضرات والمناظرات".

ضاح قسم كبير من كتب أبي حيان ، وأحرق قسماً آخر بيده سنة ٤٠٠ هـ ومع ذلك فما وصلنا يضعه في كبار متقفي العربية . وربما تبو صفحة حرق كتبه من أغربها ، فقد لاقى إهمالاً خلال سنواته الأخيرة ، واضطر للتكف حيناً ، واستهان بقيمة كتبه التي أوصلته إلى هذه الحالة الرثية ، وكذلك ضناً بها على من لا يعرف قدرها بعد موته ..

يفسر هذه الفعلة في رسالته إلى القاضي أبو سهل على بن محمد الذي لامه على صديعه فأجابه " شق على أن ادعها لقوم يتلاعبون بها ، يدنسون عرضي إذا نظروا فيها، ويشتمون بسهوى وغلطي إذا تصفحوها ، ويتراعون نقص عيني من أجلها." (١٦)

نظرية المعرفة عند التوحيدي :

عبر التوحيدي عن ثقافته الإسلامية ، وإنتمائه المجتمعي ونزعه الإنسانية في تصوره المعرفي.

وهو يبدأ بتحديد المعرفة وفك شفرتها فيقول " إن كانت ضرورة فهي نتيجة الفطرة وأن كانت استدلالاً فهي ثمرة الفطنة ، ولا بد فيها من البحث الطويل والعريض والسماع الواسع الكبير . لأن النفس النافقة لا تعطيك مكنون ما فيها الا بتصفحك كل ما هو دونها من أجلها." (١٧)

ويمكن تحديد مصادر المعرفة عنده في المصادر التالية: القرآن ؛ السنة ؛ حجة العقل ؛ التجربة السياسية ؛ الفلسفة.

يقول في هذا التفسير : " وأنا ضامن لك أنك لا تخلو في دراسة هذه الصحيفة من أمهات الحكم ، وكنوز الفوائد أولها وأجلها ، يتضمن كتاب الله تعالى الذي حارت العقل الناصعة في وضعه ، وكلت الألسن البارعة عن وصفه ، والثاني سنة رسول الله (ص) فإنها السبيل الواضح ، والثالث حجة العقل ، فإن العقل هو الملك المنزوع إليه والحكم المرجوع إلى ما لديه في كل عارضه ، والرابع رؤية العين ، وهو يجمع لك بحكم الصور واعتراف الجمهور ، وشهادة الدهور ، ونتيجة للتجارب ، وفائدة الاختبار ، وعاندة الاختيار ، وإذعان الحس ، وإقرار النفس ، وطمأنينة البال ، وسكون الاستبداد ، هذا سوى أطراف من سياسة العجم ، وفلسفة اليونان." (١٨)

وكما ربط سقراط المسألة الخلفية بالمسألة المعرفية في عبارته الشهيرة (المعرفة فضيلة والجهل رذيلة ، فإن التوحيدي ربط المسألتين معا : الخلفية والمعرفية بقوله: " الحق

والباطل ليسا من الخلق ولا الخلق في شتى ، وهي من نتائج المعرفة والفكر لأنك تعرف الحق وتكرر الباطل وذلك لأعراض تتبعهما ولواحق تلبس بهما".^(١٩)

ويتصدر العقل عند أدوات المعرفة الأخرى ، وإن للعقل حدوده التي يشير إليها، وبالتالي تكتسب المعرفة نسبيتها ، فيقول عن العقل : " إن العقل هو الملك المنزوع إليه والحكم المرجوع إلى مالمديه من كل حال عارضة دافع عن حيرة الطالب وأمر ولد التابع ، ويبس الريق ، واعتساف الطريق ، ونوره أسطع من نور الشمس ، التكليف تابعه، والحمد والذم قرينه والثواب والعقاب ميزاته ، به ترتبط النعمة وتسد مع النعمة ويسند أم الود بتألف الشارد ، ويعرف الماضي ، ويقاس الآتي ، شريعته الصدق ، وأمر المعروف خاصة الاختيار ، ووزيره العلم ، وظهيره الحلم وكنزه الرفق ، وجنده الخيرات ، وحليته الإيمان زينته التقوى وثمرته اليقظة".^(٢٠)

ومعرفة الذات ضرورية ومقدمة لمعرفة الوجود ، وهذه المعرفة غاية لذاتها ، كما أنها وسيلة لفهم الوجود ، ويحدثنا في الليلة الأخيرة من " الامتاع والموانسة " حول الطريقة التي تعلم بها النفس الأشياء ، ونلاحظ هنا كيف فتح التوحيدي عقله لتأثير الفكر الإغريقي فيقول " النفس في الأصل علامة والعلم صورتها ، لكنها كما لامسن اليدين وصار البدن بها إنسانا ، اعترضت حجب بينها وبين صورتها كثيفة لطيفة ، فصارت تخرم الحجب بكل ما استطاعت لتصل إلى ما لها من غيبها ، فصارت تعلم الماضي الاستخبار والتعرف والبحث والمساءلة والتتقير ، وتعلم الآتي التلقي والتوكف والتبشير والإنذار ، وتعلم الحاضر التعارف والمشاهدة ، ومجال الحبس ، وهذه المعلومات كلها زمانية ، ولهذا قسم بين الماضي والآتي والحاضر".^(٢١)

وثمة إيداع في هذا التفسير يخص علاقة المعرفة والعمل بالزمان ، ولها عند التوحيدي شقان : يظهر الزمان في الفرد بل هو وليد مختلف النشاطات المعرفية ، وثانيا: إن الإدراك خارج الزمان هو من ثبت العقل ، موضوعه المبادئ العقلية " كل ما علق بالموجود الحق . فالمعرفة حاضنة الزمان ، الماضي في الاستخبار والتعرف والبحث والمساءلة والتتقير (أي الحفر) . أما الآتي أي المستقبل فيظهر في أربع عمليات هي: التلقي الاستقبال أو التعليم ، التوكف (أي التوقع) والتبشير والإنذار . أخيراً يتبدي الحاضر في التعارف والمشاهدة ومجالس الحسن . يتضح من هذا كله ان في عمليات المعرفة على اختلاف أنواعها ، وعباً بالزمان ، وإن لهذا الوعي علاقة مكونة لكل من هذه العمليات

كشروط حدوثها ، فهذه المعلومات زمانية الحدوث. (٢٢)

يفجر التوحيدي وظيفة العقل ، فإذا كان " الإنسانية أفق والإنسان متحرك إلى أفقه بالطبع " كما يقول في المقابسات فإن العقل هو بوصلة هذه الحركة ، وكما يلاحظ صلاح قنصوه فإن التوحيدي يستخدم كلمة " أفق " للدلالة على الغاية القصوى التي تميز تحقيقها الإنسان عن غيره من البهائم ، فهناك هدف وجهه نحو تحقيق ذلك الهدف . كما يفرق من التوحيدي بين ما يكون للإنسان عن طريق " الملك " وما يكون عن طريق " التمليك " ومعنى هذا أن العقل يتحقق عن طريق الاختيار ، والاستطاعة ، والقدرة ، والرأى ، والرؤية ، والتحصيل ، واليقظة وليس مجرد جهاز أو حاسة . العقل إذن من صنعنا " لأننا نساق بالطبيعة وليس نتاج القانون المحتوم وبعبارة أخرى يمكن القول أن العقل ينتمي إلى الثقافة الإنسانية ، ولا يرد إلى الحتمية الطبيعية. (٢٣)

وثمة تصنيف للعلوم قدمه التوحيدي.

شكل رقم (١)

تصنيف العلوم عند التوحيدي



* المنهج الحوارى عند التوحيدى:

ما أهم أساليب الوصول إلى المعرفة لدى التوحيدى ؟
يمكننا أن نشير إلى ما يسمى " المنهج الحوارى " عنده ، والذي قسمه إلى ثلاثة

أقسام:

- ١ - المهاترة : وهي كلام مع الخصم.
- ٢ - المذاكرة : هدفه طلب الفائدة بمراجعة العقل للآراء المعروضة المختلفة.
- ٣ - المناظرة : وتتوسط المهاترة ، والمذاكرة ، وهي تنضى إلى المناقشة ، وربما تكون مقيدة.^(٢٤)

إن فضاء المنهج الحوارى عنده يتوسط خطأ ربما يكون سقراط حده الأول ، وبأولوفريرى حده الأخير .

ويرتبط الحوار عنده التوحيدى بمبدأ نسبية المعرفة الإنسانية ، فالعقول تتباين في قدرتها ، وقدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة محدودة ، يقول : " إن العلم بحر ، وفانت الناس منه أكبر من مدركه ، ومجهوله أضعاف معلوله ، وظنة أثر من يقينه ، والخافي عليه أكثر من البادئ ، وما يتوهم فوق ما يتحقق.^(٢٥)

ويمكننا أن نؤكد عل أهمية منهج الحوار ليس في السجال الإنسانى وحده ، بل في العمل التربوي ذاته ، حيث يحل الحوار كلية محل التلقين في العمل البيداجوجى ، بل ويتحول الموقف التربوي كله إلى حوار مع الوجود ، والعالم ومساعدة للطبيعة ، وعصف للآراء وقدح للأفكار .

ولا يدعو التوحيدى للمنهج الحوارى فحسب بل يجسد ، في معمار مؤلفاته التي تقوم على الحوار بينه وبين أقرانه ، كما نجده في (الهوامل والشوامل) مع مسكويه ، وكذلك في (الامتاع والموانسة).

ويفسر البعض هذا النزوع بأن " التوحيدى رجل المساجلة ، ورجل النزاع ، وكان كذلك رجل الاعتراض فكراً وتعبيراً بل وسلوكاً".^(٢٦)

ويبدو أن التأزر بين النزعة الإنسانية ومنهجها يبدو مهما ، فالملاحظة القيمة إن النزعة الإنسانية المعانسة تصنع وتترسخ وتقنن من خلال الممارسة الرصينة للاستماع والمناقشة. يمكن أن تفسر لنا المكانة الكبيرة لأساليب المناظرة ، والمناقشة ، والمقابلة

والحوار في مؤلفات أبي حيان التوحيدي ، وهو ما يحيلنا إلى تماهي الشكل مع المضمون ،
والفلسفة مع أساليب المنهجية.

ويمكن بعث الحياة في المنهج الحواري عند التوحيدي في عالمنا المعاصر لتسود
لغة الحوار محل لغة القوة ، والحوار بين الغرب والشرق ، وحوار بين العالم الأول وبقية
لعالم الأقل تطوراً ، وحوار بين الحاكم والمحكوم ، وبين المحكومين بعضهم البعض ،
وحوار في قلب عملية التنشئة الاجتماعية ، وفي الممارسة السياسية.

ويؤكد التوحيدي على ضرورة الحوار في المجتمع الإنساني بقوله " لما كانت
المذاهب نتائج الآراء ، والآراء ثمرات العقول ، والعقول متاع الله للعباد ، وهذه النتائج
مختلفة بالصفاء والكدر ، وهذه النتائج مختلفة بالصفاء والكدر ، وبالكمال والنقص ، وبالعلم
والخفاء والوضوح ، وجب أن يجرى الأمر منها على مناهج الأديان في الاختلاف
والافتراق. (٢٧)

ويترتب على المقدمة السابقة سيادة روح التسامح ، وتراجع متوهمي امتلاك
الحقيقة المطلقة ، ونسبية المعرفة.

ويمكن تصنيف أداتي المنهج الحواري عند أبو حيان التوحيدي إلى قسمين :

أ (المقابسة (الجدل) :

ومعناها أن يشترك اثنان أو أكثر من الناس في محاوره علمية ، فيأخذ أحدهم العلم
من الآخر ، ويعطيه ما عنده من العلم . وكانت المقابسات من أهم أنشطة المجالس الثقافية
في القرن الرابع الهجري.

وقد جمع أبو حيان التوحيدي : في (المقابسات) من أحاديث في مجالس الفيلسوف
السجستاني والتي تدور حول تعاريف المفاهيم الفلسفية والطبيعية والمنطق والألهييات
وموضوعات أخرى

كما استخدم أبو حيان التوحيدي مصطلح (مقابسات) ولتي تعني المماثل أو المشابه،
واستخدم مفردة (المباحثة) والمباراة والتي تحيل إلى معنى الجدل.

ويفيد منهج المقابسة بمعنى الجدل في تحقيق الإمتاع ، وهو ول من أوجد لفظة
(المقابسة) مشتقاً إياها من مادة (قبس) والتي تعني الشعلة أو النور. (٢٨)

ب) السؤال : السؤال هو رغبة الفكر لم يجعل أداة السؤال في ثقافتنا العربية مثل أبي حيان التوحيدي ، حتى أن زكريا إبراهيم وصفه بـ "فيلسوف السؤال" .. والسؤال هو جسر المعرفة ، والسؤال يولد أسئلة ، ويكشف عن مسارات وطرق ويمكننا أن نعتبر " أبا حيان التوحيدي مفكر ذي عقل تساؤلي لحوح في اللغة ، " كما يظهر في سؤاله عن سر استعمال أدوات السؤال ، إذ يقول : لم صارت أبواب البحث عن كل شيء موجود أربعة ، وهي : هل ، وأما ، وأي ، ولم ؟ في اطارات كثيرة بينها مسكويه في " الهوامل والشوامل".^(٢٩)

وكما يذهب عاطف العراقي أن أهمية التوحيدي الفلسفية تتمثل في أثرته هذا الكم الكبير من التساؤلات التي تهتم بالسؤال أكثر من اهتمامها بتقديم الإجابة.^(٣٠)

وإذا تذكرنا ما قلناه سلفاً ان الشرط الأول للنزعة الإنسانية هو أن نسأل أولاً وقبل كل شيء وضعناً داخل العالم ، بسؤالنا من نحن ؟ يرتبط بسؤالنا : أين نحن ، ومن أين جئنا ، وإلى أين نحن ذاهبون ؟

إنها ثقافة التساؤل والمساءلة ، وثقافة معاينة المتناقضات ، وملازمة التفكير فيها إلى حد الارتواء بمدى إنغماس الإنسان فيها ، وإن النظر في النفس من خلال مرآة المضاربة ثم المراوحة الدائمة بين أصول الأشجار وفروعها ، كل ذلك هو الذي جعل الأفق عند أبي حيان يتسع للكائن في وجوده كما في عدمه ، وهو الذي جعل الخاطر لديه ينفس للأشياء واضطدادها ، وللأحداث وضرائرها ، وللمسلمات وتناقضها.^(٣١)

السؤال نقص وعدم اكتمال . وربما يكتمل النقص عندما يعلن عن نقصه ، والسؤال أيضاً حركة وطلب وسعي وحفر في الجذور وتقصى للماورائي السؤال أيضاً بحث ورحلة ومسيرة ، أي أنه جهدو حركة السؤال قوة هائلة ، وثراء كامن ، وإن كان يعبر عن الشقاء حتى يحين الجواب.

وكما يلاحظ عصفور في ربط التوحيدي المعرفة بالعقيدة الإسلامية ، " فإن الإسلام جمع بين أجناس متباينة في أجل معنى للإنسانية ، وهو حلم لا يتميز فيه العربي عن العجمي من معاني إلا بالمعرفة التي هي نوع آخر من التقوى ، والتي هي وحدة تقوم على التنوع ، وتنوع يزداد ثراء بالاختلاف ، واختلاف لا يفارقه معنى التسامح ، وتسامح

يصونه ويحميه روح السؤال الذي لا يكف عن توليد الأسئلة".^(٣٢)

وتقافة التساؤل عنده مركزها الذات السائلة ، وتقافة المساءلة مركزها الآخرون والذات تسائلهم . ولم يعرف السؤال عند أبي حيان حدًا يقف عنده ، ولا أمر عاجز يترتب دونه ، فأسقط من قاموسه محظورات السؤال.^(٣٣)

أليس التوحيدي سابقاً لديكارت في طرحه الشك المنهجي والذي يتضمنه السؤال ، وتقافة التساؤل عنده ؟

الطبيعة الإنسانية عند التوحيدي.

ترتبط النزعة الإنسانية عند التوحيدي بمفهومه عن الطبيعة الإنسانية يستخلص التوحيدي الصراع من الفطرة الإنسانية والعرف الاجتماعي ، ولهذا فإن الالتجاء إلى الحكام والمحظورات أمر لا بد منه يقول في الهوامل والشوامل : " لماذا ينتعش الأمل بقدر شيخوخة الجسد ، ما علة هذا ؟ أي معنى مستتر في هذا الصنيع ".^(٣٤)

ونجد لدى التوحيدي أنواعاً مختلفة للحياة الإنسانية^(٣٥):

- حياة الحس والحركة : يشترك فيها الإنسان والحيوان.
- حياة العلم والبصيرة : تميز الإنسان عن الحيوان.
- حياة العمل الصالح : كعضو في جماعة إنسانية.
- حياة الديانة والسكنية : التي تهديه إلى الصواب.
- حياة الظن والتوهم : حيث يتوهم أن الشهرة والصيت هي هدف الحياة بغية تحقيق الخلو لاسمه.
- حياة العاقبة : خلود النفس.

كان لدى التوحيدي معرفة عميقة بالنفوس ، وتغلغل في وصف مشاعر الإنسان ، وأعرب عن شوقه إلى المودة والصحبة في (الإشارات الإلهية) وعبر عن ضعف الإنسان النفسي والجسدي ، ويأس من إمكانية الصداقة في " الصداقة والتصديق" وعكس جوعه العاطفي وافتقاده إلى الألفة.

ربما كان إحساسه العميق بالغربة طيلة حياته وراء هذا التشاوم ، وعبرت طبيعته القلقة ونزعتة المتمردة عن هذه الطبيعة وهو ما جعل عبدالرحمن بدوي يصنفه ضمن الوجوديين الكبار في تراثنا العربي.

يتحدث عن الطبيعة الاجتماعية للإنسان كفرد في جماعة ، وعضو في مجتمع " لا يخلو إنسان من جار ، أو من أقرباء ، أو من أصدقاء ، أو من رفاق ، أو من آباء أو من أصحاب ، أو من شركاء ، كما لا يخلو من خفي الأعداء ، أو من حساد ، أو من منافقين ، أو من معارضين ، أو من معتدين . قال السلف إن الإنسان كائن اجتماعي بالطبيعة بحيث لا يستطيع بالكمال ، كما لا يستطيع بلا جدال في ذلك ، ان يسد بنفسه حاجاته".^(٣٦)

إن التوحدي يستهل صفحات كتابه " الصداقة والصدق " بعبارة أرسطو الشهيرة " الصديق شخص آخر هو أنت " ويقابله بعبارة آخر يعارضه فيها : " فقبل كل شيء نحن متفقون على أن الصديق غير موجود ، ولا أحد يستاهل هذا الوصف ".

يعتقد التوحدي أن الصداقة عاطفة اصطفائية ، وفضيلة إنسانية مثالية يصعب تحقيقها على الغالب ، وهي ككل عاطفة أساسية مرتبطة بصميم الحياة الشعورية تنفرع عنها جملة من الفضائل الخلقية والسلوكية تضمن لها البقاء والنماء " كالعسر والمواخاة والألفة وما يحقق بها من الرعاية والحفاظ والوفاء والمساعدة والنصيحة والبذل والمواساة والوجد والكرم أما ما يفسد الصداقة فهي أمراض النفس الإنسانية مثل الخلف والهجر والعتب والرياء والنفاق والحيلة والخداع والالتواء والاحتجاج".^(٣٧)

ويمكن تحديد شروط الصداقة المثالية في التشابه النفسي والعقلي والخلقي ، والمساعدة الطبيعية ، وكذلك المماثلة في الإرادة والاختيار والشهوة الطبيعية ، وكذلك المماثلة في الإرادة دون نشوء الصداقة التي تحققها عبارته " كأني هو فيها أو هو أنا " ونجاحها يشيع البهجة والسعادة لدى الصديقين ويلاحظ بانياجوا أن أبا حيان يريد تجاوز فردية الفعل ، صاعداً إلى عالمية الرمز ، متسامياً فوق حوادث الإحباط التي تثمر فقدان الأصدقاء الحقيقيين يرى التوحدي اعتبار الصداقة حافزاً راسخاً في الطبيعة الاجتماعية للإنسان ، شارحاً رأي أرسطو عن الإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً بالطبيعة ، ويبدو أنه يريد أن يقول لنا إن الإنسان هو الكائن النازع إلى الصداقة بالطبيعة.

والتعاون الاجتماعي ضرورة تثير حماسة التعاون الإنساني ، ونور الصداقة يسامح نقيضه : ظلام العداوة ، ومن خلال مواجهتها الدنيامية ، يسعى لإنسان إلى اكتماله ، ومحافظاً على جوهر الآخر". (٣٨)

إن الطبيعة الإنسانية تتافس في أغلب مؤلفات التوحدي فهناك أيضاً " الإشارات الإلهية " ، و" الامتاع والموانسة " و " المقابسات " ، رسالة الحياة ، و" الهوامل والشوامل" ولم يتعصب التوحدي الجنس العربي ، ولا أفضلية اللغة العربية بل آمن بالإنسان في وجوده المطلق ، وهويته البشرية السامية " فلكل " أمه فضائل وردائل ، ولكل قوم محاسن ومساوي ، وبكل طائفة من الناس في صناعتها وحلها وعقدها كمال وتفصير ، وهذا يقضي بأن الخيرات والفضائل والشور والنقا من مفضلة عن جميع الخلق. (٣٩)

ولا يعني هذا تساوي الأمم في أخلاق الكمال ، بل يوجد تفاوت ، فهو يذهب إلى تراتبية الكائنات ، ويرفض تكافؤ الأدلة ، إنه تفاوت في " مقادير ، الفضل والكمال ، وكذلك الشأن في اللغات وفي الأديان وفي المذاهب .. فمقادير العرب أرجح من مقادير الأمم الأخرى والأذى ، واللغة العربية أفضل اللغات ودين كافة الأديان ، وإن لم ينف وجود بيانات خرى وذلك إلى الحق الذي ليس مختلفان في نفسه". (٤٠)

وهي نسبية تترفع عن الإطلاعية ، وعقلية مرونة لا تنزلق إلى تحجر الدوجما وأنغلاق التعصب وفيها احترام للشأن الإنساني ، والانتماء الإنساني الواسع دون أن يصحى بالانتماء القطري أو القومي الأضييق.

النشاط التربوي والجهود التعليمية في مؤلفات التوحدي:

تصور مؤلفات التوحدي الأنشطة التعليمية والتربوية في عصره كأغلب كتب المدونات والتراجم العربي مثل " الأغاني " و " الكامل " ويمكن حصر الألفاظ الخاصة بالمؤسسات التعليمية والأنشطة الثقافية ، وأساليب التدريس والتعلم . وملاحظ أن المساجد والمجالس والمنتديات هي أهم هذه المؤسسات ، كما تتردد مفردات تمثل أساليب التعليم ، الجدول التالي يحصى عدد مرات ورود هذه المفردات في مؤلفات التوحدي المتوفرة لدينا.

جدول (١)

المفردات المعبرة عن النشاط التربوي والجهود التعليمية

في مؤلفات أبي حيان التوحيدي

الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها	الكلمة	عدد مرات ورودها
المجلس	٢٠٢	الدراسة	٦	النظر	٢
المقابلة	٥١	الرواق	٥	النادي	٢
المناظرة	٤٣	المكتب	٥	الحلقة	٢
المجالس	٤٣	المقتبس	٥	الدرس	٢
الجامع	٢٧	القبس	٥	القابس	١
المذاكرة	٢٧	النوادي	٥	المناظرات	١
الاقتباس	٢٦	التدريس	٥	المتناظرون	١
المجالسة	٢٢	الاقباس	٤	الأندية	١
المسجد	٢٠	المقابسات	٣	المجالس	١
المساجد	١٧	المقتبسون	٣	الناظرين	١
المقتبس	١٦	المدارس	٣		
الناظر	١٢	المكاتب	٢		
المجالسات	٩	المناظر	٢	المجموع	٣٦

المصدر : طيبة صالح الشنر : لفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي ،

مرجع سابق ، ص ١٢٨.

البناء التربوي للنزعة الإنسانية في المدرسة العربية:

إن حقن النزعة الإنسانية في المدرسة العربية مسعى يستحق الانشغال به ، ولن نزع أن فلسفة بعينها ، أو رؤية واحدة تمتلك مفتاح الخلاص من الأزمة الراهنة التي تمسك بتلابيب التربية العربية ، وتتسحب من أزمة الوجود العربي ذاته .. ويمكننا أن تقدم تصوراً للبناء التربوي للنزعة الإنسانية في المدرسة العربية ، على مستوى الرؤى ، وعلى مستوى الممارسات من خلال قراءة مشروع أبي حيان التوحيدي ، وهو مشروع إصلاحية توحيدية.

أولاً : على مستوى الرؤية الفلسفية التربوية:

- تبني حق التعليم كحقوق من الحقوق الأساسية للمواطن العربي ، والوصول بهذا الحق إلى سقفه الأعلى بتحديد كل الحواجز المعوقة للتمتع بهذا الحق على أرض الواقع ، مستندة إلى مبدأي العدالة والمساواة التي تؤكد على إنسانية المواطن.
- إن مجال العمل التربوي يمكن أن يكشف أحد جسور الحوار الثقافي بين البلدان المختلفة ، وبالتالي فإن التعاون الدولي في المجال التربوي يمكن ان يسهم في التخفيف من الصراع الحضاري المستعر الآن وهذا التعاون في حالته ينطلق من الإطار القومي العربي إلى الإطار الجغرافي الأفريقي ، والروحي الإسلامي ، ويمتد ثالثاً إلى الإطار الإنساني مع الآخر الغربي ، كما يشمل مختلف المراحل والأنشطة ، ويمكن التفكير في بعض المقررات ، أو المدارس ، أو الكليات المشتركة التي يمن أن تمثل نموذجاً للحوار الثقافي بين المجتمعات المختلفة . كما يمكن للمنظمات الإقليمية والدولية ان تسهم في هذا التبادل الثقافي.
- التأكيد على أن الإبداع المجتمعي ، وإطلاق القوي والطاقات لدى الأفراد يمتد من العام إلى الخاص ، ومن المجتمع إلى التعليم ، ولذا فإن تعميق المشاركة السياسية، والإصلاح السياسي ، والحقوق الديمقراطية في المجتمع لا ينفصل عن التربية الإبداعية داخل أسوار المؤسسات التعليمية.

ثانياً : على مستوى الممارسات التعليمية:

تقدم لنا النزعة الإنسانية في التجربة العربية الإسلامية ، وكما تعرفنا عليها في فكر وتراث أبي حيان التوحيدي إمكانية خصبة لتطوير العمل البيداغوجي نحو أفق أرحب.

فعلى مستوى المقررات الدراسية يمكن التأكيد على الحقوق الأساسية للمواطنين سواء الفيزيقي منها أو الفكري ، أي من حق الطعام والسكن والسلامة الجسدية إلى حقوق التعبير وحرية العقيدة والممارسات السياسية...الخ.

- ويمكن بلورة الرؤية الإسلامية في هذه الحقوق ، وتأكيد الشريعة الإسلامية على حرمة وكرامة ورفي الإنسان وخاصة فيما يتعلق بسمو الحرية والعقلانية كمبادئ موجهة في المجتمع الإسلامي.

- كما أن تدعيم الرؤية الثقافية المتسامحة إلى الآخر (وخاصة الغربي) ، وإبراز إمكانات الحوار بين الشمال والجنوب ، وإدانة الممارسات الاستعمارية ، والهيمنة ، والعنصرية التي يمارسها المركز على الأطراف تتكامل مع البناء التربوي للنزعة الإنسانية.

- إغناء طرق التدريس بثقافة السؤال ، والسؤال الفلسفي والأساليب الحوارية ، ومواقف الجدل في مقابل التعليم القائم على الاستظهار والاجترار والتي تضعف روح النقد، ويمكن التوسع في لتعليم الحوار في مختلف المواقف التعليمية لدخل وخارج الصف ، وهو ما يمكن أن يدعم قيم النسبية والتعددية واحترام الخطأ . وسوف نجد سندا لهذا الأسلوب في الفضاء الإسلامي عند الترمزي ، والمحاسبي ، وأبي حيان التوحيدي، وهو تراث يتشابه بدرجات مختلفة بين منهج التوليد عند سقراط ، ووصولاً إلى التعليم الحوارية عند باولو فرييري.

- اقتران العلم بالعمل ، والنظرية بالممارسة في تراكب متناغم ، ولذا فإن الدرس النظري يتكامل مع الأنشطة العملية التي يقوم بها المتعلمون تنمة تطبيقاً له.

- يتكامل مع إنسانية المتعلم ، إنسانية المعلم ، وهو ما يعني الرقي بالمعلم إعداداً ، وتقديراً ، وممارسة وتدعيم مكانته المهنية ومشاركته النقدية في تطوير عمله ومهنته ومجاله الحيوي ، وتشجيعه على السؤال المستمر ، والمتجدد حول طبيعة عمله ، ومنطق مهنته ، وتشجيعه على القيام بالبحث العلمي النقدي في هذا المجال . يتم هذا الجهد إعادة النظر في المكانة المادية والاجتماعية للمعلم تحقيقاً لإنسانيته ، وتقديراً لرسالته.

المراجع :

- (١) محمد السيد سعيد : نحو تأسيس شرعية لحقوق الإنسان في الثقافة العربية ، مجلة أبواب ، دار الساقي ، بيروت ١٩٩٧ ، ص ص ٢٧-٤٢ .
- (٢) محمد أركون : الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، دار الساقي ، بيروت ١٩٩٧ ، ص ١٦ .
- (٣) رضوان جودت زيادة : النزعة الإنسانية في الفكر العربي " محددات القراءة " ، مجلة الكلمة ، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث ، ع ٢٩٤ ، خريف ٢٠٠٠ ، بيروت ، ص ص ٤٢-٥٩ .
- (4) Patterson, C. H., Humanistic Education. Englewood Cliffs, N.J., Prentice Hall, 1973, p. 44.
- (٥) محمد أركون : الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، المرجع السابق ، ص ١٧٧ .
- (٦) أديجار موران : تربية المستقبل ، ترجمة عزيز لزرق ومنير الحجوجي ، دار توبقال ، الدرا البيضاء ، ٢٠٠٢ ، ص ٤٨ .
- (٧) محمد السيد سعيد : المرجع السابق .
- (٨) محمد أركون : من أجل الفلسفة الإنسانية في السياقات الإسلامية ، مجلة نزوي ، دار الوطن للنشر ، عدد ٢٢ ، مسقط ، أبريل ٢٠٠٠ ، ص ص ١٥-٢٢ .
- (٩) عاطف العراقي : الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل ، رؤية عملية نقدية ، دار الرشاد ، ط ٣ ، القاهرة ٢٠٠١ ، ص ٦٩ .
- (١٠) جابر عصفور: أبو حيان التوحيدي بعد ألف عام ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، م (١٤) تح (٣٤) ، القاهرة، ١٩٩٥ ، ص ص ٥-٨ .
- (١١) خوان انطونيو باتشيكو بانيا جوا : أبو حيان التوحيدي أو العالمي الفرد ، مجلة فصول ، مرجع سابق ، ص ص ٤٨-٥٥ .
- (١٢) عاطف العراقي : الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل ، مرجع سابق ، ص ٦١ .
- (١٣) محمد أركون : النزعة الإنسانية في الفكر التربوي لأبي حيان التوحيدي ، دار

الساقى ، لندن ، ١٩٩٥ ، ص ٢٣ .

- (١٤) جابر عصفور: أبو حيان التوحيدي بعد ألف عام ، مرجع سابق .
- (١٥) راجع: ترجمة إبراهيم الكيلاني : أبو حيان التوحيدي ، دار المعارف ، ١٩٥٧ /
إحسان عباس : أبو حيان التوحيدي ، دار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٦ .
- ، زكريا إبراهيم : أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ، الدار
المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- ، سالم بن حميش : تجربة الوجود والكتابة عند التوحيدي ، مجلة فصول ، مرجع
سابق ، ص ص ٥٦ : ٦٠ .
- (١٦) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، تحقيق أحمد فريد وفني ، د.ن. ، القاهرة ١٩٣٦ ،
ص ١٥-٢٦ .
- (١٧) أبو حيان التوحيدي : المقابسات ، تحقيق حسن السندي ، دار سعاد الصباح ،
الكويت ، ١٩٩٢ ، ص ٣٦٤ .
- (١٨) أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر ، تحقيق إبراهيم الكيلاني ، دمشق ١٩٦١ ،
ج ١ ، ص ٦ .
- (١٩) أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص
٥٥ .
- (٢٠) أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر ، مرجع سابق ، ص ٨-٩ .
- (٢١) أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ .
- (٢٢) غانم هنا : المعرفة والعلم في فكر أبي حيان التوحيدي ، مجلة فصول ، مرجع
سابق ، ص ص ١٠٦-١١٠ .
- (٢٣) صلاح قنصوه : أفق العقل لدى التوحيدي مساهمة معاصرة ، في نقد العقلانية ،
مجلة فصول ، مرجع سابق ، ص ص ٧٤-٨٣ .
- (٢٤) أبو حيان التوحيدي : الإشارات الألهية ، ج ١ ، ص ١٠٧ .
- (٢٥) أبو حيان التوحيدي : الهوامل والشوامل ، تحقيق أحمد أمين ، والسيد صقر ، لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٢٥ .

- (٢٦) عبد السلام المسدي : التوحيدي وسؤال اللغة ، مجلة فصول ج ١ ، مرجع سابق ، ص ص ١٢٦-١٥٧ .
- (٢٧) أبو حيان التوحيدي : الامتاع والموانسة ، ج ٣ ، ص ص ١٨٦:١٨٧ .
- (٢٨) طيبة صالح الشذر : ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي ، د.ن ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ١٦٧ .
- (٢٩) محمود ابراهيم : التوحيدي ، مجلة فصول ، مرجع سابق ، ص ص ٣٠:٣٩ .
- (٣٠) عاطف العراقي: مفهوم الإنسان عند أبي حيان التوحيدي ، مرجع سابق .
- (٣١) عبد السلام المسدي : التوحيدي وسؤال اللغة ، مرجع سابق .
- (٣٢) جابر عصفور : أبو حيان التوحيدي بعد ألف عام ، مرجع سابق .
- (٣٣) عبد السلام المسدي : مرجع سابق .
- (٣٤) أبو حيان التوحيدي : الهوامل والشوامل ، مرجع سابق ، ص ١١٣ .
- (٣٥) عاطف العراقي : مفهوم الإنسان عند أبي حيان التوحيدي ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .
- (٣٦) أبو حيان التوحيدي : رسالة الصداقة والصديق ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٥٤ .
- (٣٧) إبراهيم الكيلاني : مقدمة تحقيق رسالة الرسالة والصديق لابي حياته التوحيدي) ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٣٤ .
- (٣٨) خوان انطونيو باتشيكو بانياجو : أبو حيان التوحيدي أو العالمي الفرد ، مرجع سابق .
- (٣٩) أبو حيان التوحيدي : الرسائل " رسالة العلوم " ، تحقيق إبراهيم الكيلاني ، مشق ١٨٨٥ ، ص ص ٣١٩ وما بعدها. نقلاً عن : محمد مفتاح ، مرجع سابق .
- (٤٠) أبو حيان التوحيدي : المقابسات ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .